ـ ٢ ـ

عداء.. وافتراءات لها تاريخ

لهذا كله.. جاءت محاضرة بابا الڤاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى جامعة «ريجنسبورج» ـ الألمانية ـ فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م ـ والتى فجرت الغضب الإسلامى ـ جاءت ـ هذه المحاضرة ـ فى سياق من الحقائق والوقائع ـ التاريخية.. والمعاصرة ـ يغفل عنها الكثيرون.. كما جاءت صادمة للمشاعر الإسلامية؛ بسبب حدتها.. ولما حوته من الأكاذيب والمغالطات والجهالات، التى لا يتصور صدورها من «أستاذ للفلسفة» يتولى منصب الحبر الأعظم لحاضرة الكاثوليكية بالڤاتيكان.. عندما يتحدث عن دين ـ كالإسلام ـ يتدين به مليار ونصف المليار من المسلمين..

● لقد كان موضوع محاضرة البابا عن «علاقة العقل بالإيمان» فى المسيحية.. لكن الغريب ـ بل والعجيب والمريب ـ أن الرجل قد بدأ محاضرته بالهجوم على الإسلام!.. بل ولقد استغرق هذا الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة!! ـ مائة سطر من أربعمائة سطر، هى جملة سطور النص الكامل للمحاضرة ـ !![1].

● وكان أخطر ما فى هذه المحاضرة، ليس اقتباس البابا من الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ ـ ١٤٢٥م] ـ كما حسب كثير من المعلقين ـ وإنما تعليقات البابا على الاقتباس!..

لقد استشهد البابا بكلمات الإمبراطور البيزنطى ـ فى معرض ربط الجهاد الإسلامى بالحرب المقدسة المسيحية». وأورد الكلمات التى قال فيها هذا الإمبراطور لأحد المثقفين الفرس المسلمين:

(١) لقد اعتمدنا فى تحليل هذه المحاضرة ونقدها على النص الأصلى والكامل الذى نشرت ترجمته العربية صحيفة غير متهمة، هى [وطنى] ـ المسيحية ـ انظر عدد ٢٤ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م.

«أرنى ما الذى أتى به محمد من جديد؟! . فهنا ستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التى دعا إليها بحد السيف».

ولقد وصف البابا الإمبراطور «مانويل الثانى» بالموسوعى! . . وأغفل ذكر رد المثقف الفارسى المسلم على هذا الإمبراطور! . . ثم مضى ـ معلقًا . . ومؤيدًا ـ فقال:

«لا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ تنص على أنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾. وهى إحدى سور العصورالأولى من تاريخ الإسلام، عندما كان محمد لا يزال مهددًا، وتعوزه القوة.

ولكن من الطبيعى كذلك ـ بالنسبة للإمبراطور ـ أن يكون قد عرف التعليمات «أوامر اللئام» بشأن الحرب المقدسة، والتى ذكرت لاحقًا ودونت فى القرآن».

● وفى إطار كلام البابا عن علاقة العقل بالإيمان ـ فى المسيحية والإسلام ـ قال:

«إن القول الفصل فى النقاش حول التحول العقائدى باستخدام العنف، هو أن عدم التصرف وفقًا للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب.

ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا بما فيها العقلانية. . ولقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شىء يلزمه بكشف الحقيقة لنا.

ففيما يتعلق بإرادة الله، فإنه ينبغى علينا التعبد بشكل وثنى أعمى»!!

***

كانت تلك هى أبرز نقاط المغالطات والافتراءات التى وردت عن الإسلام فى محاضرة بابا الڤاتيكان. . والتى إن أثارت الغضب فى جماهير الأمة الإسلامية. . فإنها تستوجب النظر العلمى الموضوعى والهادئ والصبور فى الحوار مع «أستاذ الفلسفة»، عظيم الڤاتيكان.

وإذا كانت مجلة «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ قد استنكرت ما جاء بمحاضرة البابا عن الإسلام. . وجعلت عنوان غلافها ـ عدد ٢٦ ـ ٩ ـ ٢٠٠٦م ـ: «**بنديكتوس السادس عشر. . ماذا دهاه؟!**». . ثم وصفت طريقته ـ فى هذا التناول للإسلام ـ بأنها «**طريقة**

خرقاء»! . . فإننا نختلف معها فى هذا التوصيف . . فالأمر ليس مجرد «حماقة» . . وإنما هو موقف له تاريخ طويل من العداء للإسلام! . .

إنه فصل جديد ـ ولن يكون الأخير ـ فى فصول العداء للإسلام، والافتراء على مقدساته ورموزه وأمته وحضارته . . يأتى بعد عام من أحداث الرسوم الدانماركية، التى أساءت إلى رسول الإسلام ﷺ . . وممن؟ . . من عظيم القاتيكان . . وليس من صحفى دانماركى نشر رسومه فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م . .

● لقد تحدث البابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى هذه المحاضرة . . فأساء إلى إله المسلمين ورب العالمين، عندما ادعى أن المشيئة الإلهية ـ فى الإيمان الإسلامى ـ متسامية ومطلقة، لا تتقيد بالعقل ولا بالمنطق . . الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى ـ برأى البابا ـ إيمانًا وثنيًا أعمى!! . .

● وعندما أراد الحديث عن رسول الإسلام ﷺ اختار ـ واختيار المرء قطعة من عقله ـ عبارات الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ ـ ١٤٢٥م] التى تفترى على رسول الإسلام، فتزعم أنه لم يأت إلا بما هو شرير وسيئ ولا إنسانى . . ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!!

● وانطلاقًا من ذلك قارن البابا بين مسيحيته وبين الإسلام . . فادعى عقلانية المسيحية ولا عقلانية الإسلام! . .

● كما اتهم الإسلام بالتأسيس للعنف والإرهاب ـ واتهم المسلمين بهما . .

● كما خلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة ـ التى عرفتها ومارستها الكنيسة الكاثوليكية الغربية . .

* * *

ورغم الدهشة والغضب اللذين يشعر بهما، لا المسلمون وحدهم، بل والمنصفون من غير المسلمين، الذين عرفوا الإسلام . . بل وحتى المحايدون الذين يفترضون ضرورة الأدب والكياسة فى الحديث عن الديانات . . رغم كل ذلك، فإن الموضوعية يجب أن تكون المعيار الأول فى الرد على هذه الإساءات والمغالطات . .

إن الغضب لله ولرسوله ولدينه أمر مشروع . . بل ومطلوب . . لكن الإسلام يعلمنا أن يمين الغاضب لا تنعقد، وأن قضاء الغاضب لا يجوز؛ لأن الغضب قطعة من الجنون . . ومن ثم فإن العقلانية والموضوعية هى التى يجب أن تحكم الرد على هذه الإساءات . . وتحكم الحوار مع عظيم الڤاتيكان .

● وفى البداية . . ولتبديد الاستغراب والاندهاش اللذين أصابا الكثيرين من هذا الذى صنعه الحبر الأعظم للكاثوليكية، المتربع على عرش بابوية الڤاتيكان . . أقول : **إنه لا غرابة فى حدوث هذا الأمر الغريب؟!** . .

فهذا الرجل ـ الذى تولى البابوية فى إبريل ٢٠٠٥م، قد شغل ـ فى الڤاتيكان ـ لأكثر من ربع قرن ـ من ١٩٨١م حتى ٢٠٠٥م ـ منصب المسئول الأول عن «النقاء العقائدى»، أى قيادة «الأصولية الأرثوذكسية الكاثوليكية»، التى تقسم العالم إلى مؤمنين كاثوليك حقيقيين . وإلى من يعتنقون «بعض عناصر الإيمان» . . أى أنه ـ بالمعنى الشائع فى الشرق ـ كان يتولى زعامة ومسئولية «التكفيريين» فى الإطار الكاثوليكى! . . الأمر الذى يرسم صورته وصورة مواقفه ضد الآخرين من غير الكاثوليك! . . ويرسم صورة مؤسسته فى هذه المرحلة من التاريخ . .

ـ وهو من هذا المنطلق «الأصولى ـ التكفيرى» عدو لدود للعلمانية، التى جعلت أكبر البلاد الكاثوليكية فى أوروبا ـ فرنسا ـ لا يذهب فيها إلى القداس سوى ٥٪ من السكان الكاثوليك! . . أى أن تعداد الكاثوليك الفرنسيين ـ بمقاييس هذا البابا ـ هم أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين! . .

● وهذا المنصب الذى تولاه لأكثر من ربع قرن ـ قبل توليه البابوية ـ منصب «المفتش الأكبر» ـ رئيس مجمع عقيدة الإيمان ـ هو ـ فى الكنيسة الكاثوليكية ـ الامتداد المعاصر «لمحاكم التفتيش»، التى احترفت ـ فى العصور الوسطى الأوروبية ـ التفتيش عن العقائد، وممارسة الحرق والخنق والإغراق ضد العلماء والمفكرين والفلاسفة والمخالفين . . وضد المسلمين بعد إسقاط غرناطة واقتلاع الإسلام من الأندلس ١٤٩٢م . . والتى مارست إعدام هؤلاء المخالفين على «الخازوق المقدس» لمدة ثلاثة قرون! . . والتى بلغ ضحاياها عدة ملايين . .

● بل إن اختيار هذا الرجل ـ واسمه قبل البابوية «جوزيف راتزينجر» ـ لاسمه البابوى ـ بنديكتوس السادس عشر ـ له ـ كما أسلفنا ـ معنى وثيق الصلة بهذا التوجه «الأصولى ـ التكفيرى» فى الموقف من الآخرين . . فالبابا بنديكتوس الرابع عشر [١٧٤٠ ـ ١٧٥٨م] ـ فى القرن الثامن عشر ـ كان عدوّا للعقلانية ولمنهج الشك اللذين قامت عليهما حركة التنوير الأوروبية . . وقبل ذلك ـ فى القرن السادس ـ كان القديس البابا بنديكت الخامس [٤٨٠ ـ ٥٤٧م] هو مؤسس الأديرة والرهبانية التى ساعدت على بقاء الحضارة المسيحية فى أوروبا . . وهو واضع دستور الرهبانية المتبع حتى الآن فى الحضارة الغربية . .

فحتى الاسم ـ بنديكتوس ـ الذى اختاره هذا البابا ـ له توجهات أصولية ـ بالمعنى الغربى ـ وله دلالات . . وله تاريخ ! . .[١] .

● وفيما يتعلق بما جاء من الإساءات للإسلام ـ فى محاضرته بجامعة «ريجنسبورج» فى مدينة «رايتسبون» الألمانية ـ فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م ـ فإن هذا لم يكن ـ كما أسلفنا ـ بداية إساءاته إلى الإسلام . .

ـ فالرجل له تاريخ فى «الخوف والتخويف» من الإسلام ـ ذلك الذى أصبح اتجاهًا فى الغرب يسمونه «الإسلام فوبيا Islamphobia» . . ففى حوار بينه وبين السياسى الإيطالى البارز «مارسيلو بيرا» ـ نشر فى كتاب عنوانه : **[بلا جذور : الغرب، النسبية، الإسلام والمسيحية]**[٢] يعلن هذا البابا أنه تسيطر عليه مخاوف ثلاثة :

أولها : الانقراض السكانى للأوروبيين المسيحيين ـ بسبب العلمنة التى أشاعت الأنانية وتفكك الأسرة، فانخفضت الخصوبة والمواليد ـ أحيانًا إلى أقل من ١٪ ـ «ذلك أن معدلات المواليد فى غالبية الدول الأوروبية تراجعت، الشىء الذى أثر على استمرار التوازن السكانى . . وجعل عدة شعوب أوروبية، خصوصًا الألمان والإيطاليين والإسبانيين، ربما لا تعود موجودة قبل نهاية القرن الحالى» أو فى ـ أحسن الأحوال والتكهنات ـ تصبح ـ هذه الشعوب ـ أقليات داخل دولها .

---

(١) نيوزويك ـ الأمريكية ـ عدد ٣ ـ ٥ ـ ٢٠٠٥م .

(٢) انظر : صورة غلاف هذا الكتاب فى ملحق الوثائق ص١٢٢ .

وثانى هذه المخاوف البابوية هو: «أن المكان الذى تتركه الأجيال الأوروبية الجديدة شاغرا يملؤه المهاجرون المسلمون، خصوصًا من إفريقيا والعالم العربى.. الأمر الذى يفتح الباب لاحتمال أن تصبح أوروبا مستقبلاً جزءًا من دار الإسلام»!!..

وثالث هذه المخاوف البابوية هو: «تراجع المسيحية من الفضاء الأوروبى.. فبسبب العلمانية «أصبحت مسيحية غالبية الأوروبيين تقتصر على انتماء الأسرة التقليدى للمسيحية» - أى مسيحيون بحكم النسب والتاريخ!! - الأمر الذ أدى - برأى البابا - إلى «افتقار أوروبا إلى القدرة والرغبة والشجاعة الأخلاقية فى القتال من أجل أى شىء، حتى حريتها»!![1]

هكذا ينظر البابا - بنديكتوس السادس عشر - إلى الإسلام، فيراه الوارث لمسيحيته وكنيسته.. الذى سيجعل أوروبا - وهى قلب العالم المسيحى - قبل نهاية هذا القرن - «**جزءًا من دار الإسلام**» - كما سبق وجعل الشرق - الذى كان قلب العالم المسيحى - قلبًا لعالم الإسلام!!..

ولقد انعكس هذا الخوف البابوى من الإسلام فى صور تعلن عداءه لهذا الدين، وافتراءه عليه، وإساءته لعقائده ورموزه ومقدساته - حتى قبل هذه المحاضرة التى فجرت غضب المسلمين -.. فالإسلام، الذى يبلغ القمة فى التنزيه للذات الإلهية عن التعدد والحلول والاتحاد والتجسيم والتشبيه.. والذروة فى التوحيد الخالص لهذه الذات الإلهية ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤**﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١].. و «كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك».

هذا الإسلام، الذى تلخصه كلمة التوحيد، وتعبر عن شعاره شهادة أن لا إله إلا الله. يقول عنه البابا: «**إنه ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية، لا ينتمى إلى الوحى نفسه الذى تنتمى إليه اليهودية والمسيحية**»!![2].

---

(١) انظر عرض هذا الكتاب فى الملحق الثقافى لصحيفة [الشرق الأوسط] - «منتدى الكتب» عدد ٢٦ - ٤ - ٢٠٠٦م. وانظر صورة الغلاف فى ملحق الوثائق صفحة ١٢٢ من هذا الكتاب.

(٢) هنرى تنك [لوموند] - الفرنسية - فى ١٨ - ٤ - ٢٠٠٦م - والنقل عن: د. عمار الطالبى [البصائر] - الجزائرية - فى ١٠ - ١٧ يوليو ٢٠٠٦م.

فالتوحيد ـ برأى البابا ـ موجود فى اليهودية، التى جعلت الله خاصًا ببنى إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهتها!.. وموجود فى المسيحية ـ التى تقول بالتثليث.. وتعبد عيسى بن مريم ـ باعتباره الرب ـ وتقول عنه: إنه «الألف والياء، والبداية والنهاية»، القادر على كل شىء.. خالق كل شىء، وبه كان كل شىء.. وبدونه لم يكن شىء مما كان»!! ـ [يوحنا: ١: ٣، ١١].

أما الإسلام، الذى يجعل الواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، وينزهه عن المثيل والند والشريك والشبيه والصاحبة والوالد والولد.. فهو ـ بنظر البابا بنديكتوس ـ ليس دين توحيد!!..

● وإذا كان الكاردينال «چوزيف راتزينجر» قد اتخذ لنفسه اسمًا بابويًا ينم عن التوجهات المحافظة والأصولية ـ بالمعنى المسيحى الغربى ـ فإن عداءه هذا للإسلام.. وإعلانه السافر لهذا العداء.. واتخاذ هذا العداء صور الإساءة والتهجم.. هو الآخر له تاريخ.. بل وتاريخ طويل ملىء بثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين..

ـ ففى تراثه الكاثوليكى، يقول أبرز قديسى وفلاسفة الكاثوليكية ـ فى العصور الأوروبية الوسطى ـ «توما الأكوينى» [١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م] عن رسول الإسلام ﷺ:

«لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية.. وحرّف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون فى البادية»![1].

ـ وفى التراث الفنى والأدبى الكاثوليكى الأوروبى ـ تراث بابا الفاتيكان ـ وضع «دانتى» [١٢٩٥ ـ ١٣٢١م] ـ صاحب «الكوميديا الإلهية» ـ رسول الإسلام ﷺ وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه **«فى الحفرة التاسعة، فى ثامن حلقة من حلقات جهنم؛ لأنهم ـ بنظر دانتى ـ من أهل الشجار والنفاق، الذين تقطعت أجسادهم فى سعير الكوميديا الإلهية»!**[2].

---

(١) هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص٣٢، ٣٣. ترجمة: ثابت عيد ـ طبعة القاهرة ـ نهضة مصر ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق: ص٢٤.

ـ وفى تراث البابا ـ الذى يتهم الإسلام بأنه ليس دين توحيد ـ تزعم «ملحمة رولاند» ـ الشعبية ـ التى نظمت حوالى ١٣٠٠م ـ **أن المسلمين يعبدون ثالوث :**

١ ـ أبولين ـ Apollin

٢ ـ وتيرڤاجانت ـ Tervagant

٣ ـ ومحمد ـ Mohamed[١]

● وبشهادات علماء الغرب، الذين قارنوا بين حقيقة الإسلام وبين الصورة البائسة والكريهة والشوهاء التى صنعتها المسيحية الغربية لهذا الإسلام . . فإن الخيال الغربى المسيحى المريض قد أطلق لنفسه العنان فى تشويه صورة الإسلام ـ ليشحن العامة والغوغاء فى الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة الغربية لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامى ـ . .

يشهد على هذه الحقيقة المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون» [١٩١٥ ـ ٢٠٠٤م] فيقول :

«لقد حدث أن الكُتّاب اللاتين، الذين أخذوا بين ١٠٠٠م و ١١٤٠م على عاتقهم إشباع حاجة الإنسان العامى، يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أى اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان «لجهل الخيال المنتصر» ـ كما جاء فى كلمات «ر. وساوثرن» ـ فكان محمد (فى عرفهم) : ساحرًا، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية . . وكان محمد (فى عرف تلك الملاحم) ـ هو صنمهم الرئيسى، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة ـ [البدو] ـ وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة»![٢] .

وبشهادة المستشرق الإيطالى «فرانشسكو جابرييلى» :

---

(١) المرجع السابق : ص٢٥، ٢٦ .

(٢) مكسيم رودنسون [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] ـ بإشراف «شاخت» و «بوزورت» القسم الأول ص٢٧، ٢٨ . ترجمة : د. محمد زهير السمهورى . مراجعة : د. شاكر مصطفى . طبعة الكويت ١٩٧٨م . وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤، ص٦٤ .

«فلقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقًا شيطانيًا فى صدر الكنيسة المسيحية، وانشقاقًا مشئومًا قام به شعب بربرى»![1].

وبشهادة المفكر الألمانى «هربرت هيركومر» ـ فى دراسته عن [صور الإسلام فى الأدب الوسيط] ـ:

«فإن الأوروبيين ادّعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق انتقاما من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية ـ فى القرون الوسطى ـ محمدا المرتد الأكبر عن المسيحية، الذى يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»[2].

وبشهادة المستشرقة الألمانية دكتورة «سيجريد هونكة»:

«فلقد استقر فى أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، الذى يصمهم جهلاً وعدوانًا بأنهم «رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة.. وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين.. وقد تربع على عرشهم الذهبى «ما هو مد». «مخميد» ـ وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانًا وزلفى إليه»!

«فهم الكفرة الفجرة، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله؛ لأنهم لم يعبدوه بعد.. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة.. وسفلة أوغاد.. أعداء الله.. وأعداء المسيح.. مستبيحو قبر المسيح»!..

«وحسب وصف «جى. توينبى» [١٨٨٩ ـ ١٩٧٥م]: «فهم غير متحضرين.. وخلق غريب مستبعد من العالم الهللينى، أو المتطفلين على الحضارة الهللينية الإغريقية.. أولئك المحمدون البدائيون.. وأقصى القول فيهم: إنهم تقليد بربرى جاهل زائف لديانة السريان الغربية عنهم، وهم ـ لبدائيتهم وقصورهم ـ لا يسعون إلى اعتناق النصرانية»![3].

---

(١) [الإسلام فى عالم البحر المتوسط] ـ المصدر السابق ـ ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص٢٣، ٢٤.

(٣) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص٨، ١١، ٤، ١٩، ٢٣. ترجمة: د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة ١٩٩٥م.

«ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحرًا كبيرًا . . وصورت «قرطبة» ـ فى الأندلس ـ وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا لمحمد الصنم الذهبى الذى كانت تحرسه عصبة من الشياطين، تضحية بشرية»!! «فبلاد الإسلام هى عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان . . بلاد الأضاحى البشرية من أجل صنم ذهبى، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد»!![1].

«ولقد نظم شاعر الكنيسة القسيس «كونراد» ١٣٠٠م ـ فى ريجنز بورج ـ «ملحمة رولاند» . . التى وصف فيها المسلمين بأنهم «الشعب الذى لا يروى تعطشه لسفك الدماء، والذى لعنه رب السماء . . فهم كفرة وكلاب . . وخنازير فجرة . . وهم عبدة الأصنام التى لا حول لها ولا قوة . . الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رممهم فى الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مراء»!

«وفى هذه الملحمة الشعبية يخاطب القس «كونراد» الشعب المسلم، فيقول: «إن مخمت ـ [محمد] ـ قد أرسلنى إليك لأطيح رأسك عن كتفيك وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحى هامتك. ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة «ليس له إلا الموت شنقًا، أو ضربًا، أو حرقًا». إن أولئك جميعًا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحًا وجسدًا، وكتب عليهم الخلود فى جهنم أبدًا»!![2].

أما البابا الذهبى «أوربان الثانى» [١٠٨٨ ـ ١٠٩٩م] ـ الذى أشعل نيران الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين ـ فهو الذى خطب فى فرسان الإقطاع الأوروبيين يحثهم على الحرب المقدسة ضد المسلمين، فقال: «أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذى لا يليق به إلا كل احتقار، والذى سقط فى هاوية التعرى عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبدًا للشيطان، قد قُدر له الانتصار على شعب الله المختار»!![3].

---

(١) سيجريد هونكة [العقيدة والمعرفة] ص ١٦١، ١٦٢، ٩٩ . ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق ١٩٨٧م.

(٢) [الله ليس كذلك] ص ٤٤ .

(٣) المرجع السابق: ص٢٣ .

نعم.. هذه هى صورة الإسلام.. ورسوله ﷺ.. وصورة المسلمين فى تراث أوروبا الكاثوليكية.. والتى نافستها فيه أوروبا البروتستانتية، تلك التى تحدث بلسانها كبيرها «مارتن لوثر» [١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م] عن القرآن الكريم فقال: «إنه كتاب بغيض وفظيع وملعون، ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع!.. وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه.. وإن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضا ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتضاعف جسارتهم وبسالتهم فى الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم فى هذه الحروب»!!..

أما صورة رسول الله ﷺ الرحمة المهداة.. والنور والبشير للعالمين.. فإنها ـ عند رأس البروتستانتية ـ وبألفاظه ـ صورة «خادم العاهرات وصائد المومسات»!![1].

***

وإذا كان المرء يعجب كل العجب من أن يبلغ «الخيال المظلم والمريض» بالكنيسة الأوروبية ـ بابواتها.. وقساوستها.. وشعرائها.. وعوامها ـ هذا المستوى الغريب والعجيب والمريب فى الافتراء على الإسلام والمسلمين.. فإن هذا العجب يتزايد عندما يرى هذا التراث من ثقافة الكراهية السوداء، لا يزال باقيًا.. وفاعلاً.. دون نقد أو مراجعة.. بل يراه فاعلاً وموجهًا لبابا الڤاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى القرن الواحد والعشرين!!..

***

ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا البابا ـ ذى التوجهات المحافظة والأصولية ـ بالمعنى الغربى ـ وإنما الأدهى والأمر أننا أمام تراث من العداء للإسلام والافتراء على رموزه ومقدساته، يحرك هذه المؤسسة الكبرى التى يتربع على عرشها هذا البابا..

فهذه الكنيسة هى التى هيجت أوروبا، وأعلنت وقادت أولى الحروب العالمية على الإسلام ـ الحروب الصليبية ـ التى دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م]..

---

(١) [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص٢١.

• وهى التى زكّت وصمتت صمت الرضا ـ بل وشاركت بالتنصير ـ فى الغزوات الأوروبية الحديثة لاستعمار العالم الإسلامى على امتداد القرون الخمسة الممتدة من إسقاط غرناطة والأندلس ١٤٩٢م وحتى هذه اللحظات! . .

• وهى التى أرسلت «كريستوفركولمبس» [١٤٥١ ـ ١٥٠٦م] ليجمع الذهب ـ بعد إبادة سكان الأمريكتين ـ لإعداد حملة صليبية جديدة ضد عالم الإسلام، لإعادة اغتصاب القدس وفلسطين!! . . ويومها كتب «كولمبس» إلى البابا «إسكندر السادس» [١٤٩٢ ـ ١٥٠٣م] فقال:

«لقد اضطلعت بهذه المهمة ـ [الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا] ـ لننفق ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة. وبعد أن ذهبت إلى هناك، ورأيت الأرض كتبت إلى الملك «فرديناند» [١٤٧٩ ـ ١٥١٦م] والملكة «إيزابيلا» [١٤٧٤ ـ ١٥٠٤م]: إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات، سوف أحتاج إلى خمسين ألفًا من الجنود المشاة، وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة»!![(١)].

• وهى التى أرسلت «فاسكو دى جاما» [١٤٦٩ ـ ١٥٢٤م] ليلتف حول العالم الإسلامى. . تمهيدًا لضرب قلب العالم الإسلامى ١٤٩٧م. .

• وهى التى أرسلت «ماجلان» [١٤٨٠ ـ ١٥٢١م] ليحارب المسلمين فى الفيلبين ١٥٢١م. . ولتنصير الفيليبين ـ التى كانت مسلمة. . واسم عاصمتها «أمان الله»! . .

• وهى التى أعلن مطرانها فى باريس ـ بحضرة الملك الفرنسى «شارل العاشر» [١٨٢٤ ـ ١٨٣٠م] عند احتلال الجزائر ١٨٣٠م: «إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك»![(٢)]. .

كما أعلن كرادلتها وقساوستها ـ وهم يحتفلون ١٩٣٠م بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر:

«إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى

---

(١) انظر كتابنا [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] ص٢١ ـ ٢٥ . طبعة القاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] جـ٢ ص٢١٩ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت ١٩٧٣م.

الأبد . . وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدًا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل!! . . وإن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار»!![1].

● وهى التى عهد جنرالها «كليبر» [١٧٥٣ ـ ١٨٠٠م] ـ إبان الحملة الفرنسية على مصر ـ إلى المعلم «يعقوب حنا» [١٧٤٥ ـ ١٨٠١م]: **«أن يفعل بالمسلمين ما يشاء . . حتى تطاولت النصارى على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم . . وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»!![2].**

● وهى المؤسسة الكنسية التى يقود كرادلتها ـ فى واقعنا المعاصر ـ وليس فقط البابا بنديكتوس السادس عشر ـ حرب التخويف من الإسلام . . فيقول الكاردينال «بول بوبار» ـ مساعد بابا الڤاتيكان يوحنا بولص الثانى . . ومسئول المجلس الڤاتيكانى للثقافة:

«إن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة . . إن الإسلام يمثل تحديًا لأوروبا وللغرب عمومًا . . وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيرًا ضليعًا لكى يلاحظ تفاوتًا متزايدًا بين معدلات النمو السكانى فى أنحاء معينة من العالم، ففى البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكانى بشكل تدريجى، بينما يحدث العكس فى البلدان الإسلامية.

وفى مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمج بشكل ما»[3].

أما الكاردينال «المونسنيور جوزيبى برناردينى» فإنه يقول ـ فى حضرة البابا يوحنا بولص الثانى ـ:

«إن العالم الإسلامى سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط . . وهو يبنى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية، بما

(١) انظر كتابنا: [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] ص٣٥، ٣٦ . طبعة القاهرة ٢٠٠٦م.
(٢) الجبرتى: [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] جـ٥ ص١٣٦ . طبعة القاهرة ١٩٦٥م.
(٣) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ١ ـ ١٠ ـ ١٩٩٩م ـ وهى تنقل عن [الفيجارو] ـ الفرنسية.

فى ذلك روما عاصمة المسيحية. فكيف لنا ألا نرى فى ذلك برنامجًا للتوسع، وفتحًا جديدًا»؟![1].

إذن.. فنحن لسنا بإزاء عداء فردى لبابا جديد، يمثل تيار «الأصولية الكاثوليكية» أو تراث محاكم التفتيش.. ومواقف الصليبية القديمة من الإسلام والمسلمين.. وإنما ـ مع ذلك، وفوق ذلك ـ أمام تيار قائد فى مؤسسة كنسية، هى كبرى مؤسسات المسيحية الغربية.. تحمل العداء ذاته للإسلام.. وتروج للتخويف منه، باعتباره يفتح أوروبا فتحًا إسلاميًا جديدًا!!.. ويهدد بتحويل أوروبا إلى جزء من «دار الإسلام» فى هذا القرن الذى نعيش فيه!..

***

أما عن محاضرة البابا بنديكتوس السادس عشر ـ التى مثلت أحدث فصول الإساءات للإسلام ـ ولن تكون آخر هذه الفصول ـ فلقد تناول الرجل فيها أربع نقاط:

١ ـ الافتراء على رب العالمين وإله المسلمين.. وذلك فى معرض حديثه عن علاقة الإيمان بالعقل.. إذ ادعى أن الإيمان المسيحى عقلانى.. بينما المشيئة الإلهية لإله المسلمين متسامية لا علاقة لها بالعقل ولا بالمنطق!! الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى بإله المسلمين إيمانًا «وثنيًا أعمى»!!

٢ ـ والافتراء على رسول الإسلام محمد ﷺ وذلك عندما استشهد بعبارة الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ ـ ١٤٢٥م] التى زعم فيها أن محمدًا لم يأت إلا بما هو سيئ وشرير ولا إنسانى، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!

٣ ـ وخلطه بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب المقدسة ـ التى عرفتها ومارستها النصرانية الغربية لعدة قرون ـ.. ومن ثم ادعاؤه أن الدين الإسلامى والإيمان به إنما يؤسس لممارسة العنف والإرهاب ضد الآخرين!

٤ ـ والافتراء على القرآن الكريم، ووصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللئام التى أثبتت فى القرآن»!!.

---

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩٩٩م.

ولما كنا قد سبق وكتبنا الكتب والدراسات فى الرد على جميع هذه الافتراءات والشبهات[1] . . فإننا ـ مراعاة للمقام . . وعدم التكرار ـ سنقدم هنا نقاطًا موجزة تدحض هذه الافتراءات . .

***

(١) انظر كتبنا: [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[الإسلام والآخر] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و[الغرب والإسلام: أين الخطأ وأين الصواب؟] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[شبهات حول الإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٢م. و[شبهات حول القرآن الكريم] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و[الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و[الإسلام وتحديات العصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[الإسلام والحرب الدينية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[الإسلام والأقليات] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و[السماحة الإسلامية] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و[حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[الموقف من الديانات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[الموقف من الحضارات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٠م. و[فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و[فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م.

obeikandl.com